بوعلام بلقاسمي: أخلاق باحث وعزيمة وطنية

بقلم: الأستاذ الدكتور بومدين بوزيد

الأمين العام للمجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر

مدير الثقافة الإسلامية بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف سابقا

غادرنا المغفور له الزميل الباحث، المؤرخ بوعلام بلقاسمي إلى دار الخلود. وكانت رزيتنا بالغة في فقده فجأة غريبا عن الديار والأهل بمسقط (سلطنة عمان)، التي أَحبَّها ولاقى فيها الاحترام والتقدير، وبذل جهدا متميزا في التعليم والبحث بجامعتها العالمية.

فعلاقته بالخليج العربي لم تبدأ مع تعاقده العلمي بجامعة السلطان قابوس، ولكن منذ أن كان منسّقا علميا لباحثين جزائريين -وكنت واحدا منهم- في إعداد مشروع موسوعة عن الحج والعلاقات الثقافية الخليجية المغاربية، الذي دعا إليه "مركز إدارة الملك بن عبد العزيز" بالرياض، وقد تشرفت بالحضور معه في فاس وتونس والجزائر.

وقد كان مبادرا أساسيا مع الزميل بوجلة عبد المجيد أستاذ التاريخ بجامعة تلمسان، في تنظيم ملتقى دولي برعاية وزارة الشؤون الدينية، وإدارة الملك عبد العزيز في تظاهرة تلمسان 2011، عن العلاقات العلمية بين المشارقة والمغاربة.

كما أنه كان متعاونا مع مؤسسة التميمي، التي يرأسها المؤرخ التونسي عبد الجليل التميمي، في اقتراح المواضيع والأسماء للحضور. وأذكر أنّي حضرت معه مرة ملتقى في هذه المؤسسة، وهدّد بالانسحاب إذا لم يعدّل في البيان الختامي الذي حضر قراءته سفير المملكة المغربية. وكان البيان يُحمِّل بطريقة غير مباشرة، الجزائرَ فشل الوحدة المغاربية. فوافقنا على أن نخاطب التميمي قبل عرض البيان، وإلا سنكتب بيانا مضادّا ولن يحضر مستقبلا الباحثون الجزائريون.

وهكذا كان الزميل الباحث بوعلام بلقاسمي يغضب ويناور من أجل سمعة الجزائر في الخارج، وكان ممتعضا دوما من بعض سفاراتنا التي لا تأبه بملتقيات علمية لها علاقة بالجزائر، رغم الدعوة التي توجه لهم.

ولا غريب عنه ذلك، فهو من أسرة مجاهدين وشهداء، ومن عترة الغراريج البيضية (مدينة البيض) الشريفة. كما أنه ترأس المجلس العلمي لمركز الدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 التابع لوزارة المجاهدين. وقد كان المجاهد الشريف عباس الوزير السابق يحترمه، ومن خلاله طبعا كان يُقدّر الباحثين الأعضاء في المركز البحثي التاريخي المشار إليه. حيث كانت نواة التفكير والتخطيط مشكّلة منه ومن باحثين آخرين. وللتاريخ أذكر ذلك مُمتنًّا للمرحوم؛ أنه هو من قدمني لوزير المجاهدين السابق، واقترح عضويتي في المجلس العلمي.

كما كان دوما يدفعني نحو المشاركة في عديد الفعاليات، كان آخرها استقبالي مع الزميل جمال يحياوي في بيته بمسقط، وكنت مدعوا رسميا في جامعتها، وبذل جهدا متميزا في إشكالية ملتقى عن الهوية والمنهج في العلوم الإنسانية، وتم اقتراحي كمحاضر افتتاحي رسمي بحضور وزير الاعلام العماني، وكان الاقتراح من بوعلام وانتشى كونَ باحثٍ من بلده يكون البدء.

وقد لعب دورا مهما منذ التحاقه بجامعة مسقط في ربط علاقات الباحثين الجزائريين بالعمانيين. لقد كان يقول: "**إن تاريخنا معهم مشترك منذ عهد الدولة الرستمية، كما أنهم -أي العمانيين- يحبون الجزائر، ومفتيها الشيخ الخليلي لا يتردد في إجابة الدعوة من الجزائريين**".

رحل سي بوعلام وكان يحلم أن يلتحق به بعض زملائه إذا ضاقت بهم جامعاتهم وفسدت إدارتهم. وقد وقف مساندا لوالدهم المؤرخ سعد الله أبي القاسم، حين لاقى عنتا ونكرانا، وتنازل عن مكتبه بمركز الأبيار لسعد الله ليكمل بحوثه.

المرحوم خريج جامعة بريطانية، ترأس قسم التاريخ، وأدار متحف المجاهدين بواهران، وقامت حينها معركة ضده طالت والده رحمه الله. ثم كان عميدا لكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وحينها ساعد المخابر العلمية النشطة، ومنها مخبر المخطوطات الذي يرأسه الأستاذ الدكتور عبد المجيد بن نعمية.

لقد تقاعد من جامعة وهران بعد أن تم رفض تمديد الإحالة على الاستيداع، وقال لي حينها: رُبّ ضارة نافعة، فكان التقاعد إضافة في راتبه الشهري. فانتقل إلى عالم الخلد، وحُلمه في أن تكون جامعتنا رائدة في العلم والأخلاق.